ومعنى اتخاذهم الآيات هزؤا : أنهم يلوكونها بأفواههم لوك المستهزئ بالكلام وإلا فإن مطلق الاستهزاء بالآيات لا يتوقف على العلم بشيء منها . ومن الاستهزاء ببعض الآيات تحريفها على مواضعها وتحميلها غير المراد منها عمدا للاستهزاء كقول أبي جهل لما سمع (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) تجاهل بإظهار أن الزقوم اسم لمجموع الزبد والتمر فقال " زقمونا " وقوله : لما سمع قوله تعالى (عليها تسعة عشر) : أنا ألقاهم وحدي .

(أولئك لهم عذاب مهين [9] من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون ا أولياء ولهم عذاب عظيم [10]) جيء باسم الإشارة للتنبيه على أن ما ذكر من الأوصاف من قوله تعالى (لكل أفاك أثيم) إلى قوله (هزؤا) على أن المشار إليهم أحرياء به لأجل ما قبل اسم الإشارة من الأوصاف .

(ورائهم من) قوله وفي . (مهين عذاب ولهم) لجملة بيان (ورائهم من) وجملة A E تحقيق لحصول العذاب وكونه قريبا منهم وأنهم غافلون عن اقترابه كغفلة المرء عن عدو يتبعه من ورائه ليأخذه فإذا نظر إلى أمامه حسب نفسه آمنا .

ففي الوراء استعارة تمثيلية للاقتراب والغفلة ومنه قوله تعالى (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وقول لبيد : .

أليس ورائي إن تراخت منيتي ... لزوم العصا ؟ تحنى عليها الأصابع ومن فسر وراء بقدام فما رعى حق الكلام .

وعطف جملة (ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا) على جملة (من ورائهم جهنم) لأن ذلك من جملة العذاب المهين فإن فقدان الفداء وفقدان الولي مما يزيد العذاب شدة ويكسب المعاقب إهانة .

ومعنى الإغناء في قوله (ولا يغني عنهم) الكفاية والنفع أي لا ينفعهم .

وعدي بحرف (عن) لتضمينه معنى يدفع فكأنه عبر بفعلين لا يغنيهم وبالدفع عنهم وتقدم في قوله (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من ا شيئا) في سورة آل عمران .

و (ما كسبوا) : أموالهم .

و (شيئا) منصوب على المفعولية أي شيئا من الإغناء لأن (شيئا) من أسماء الأجناس العالية فهو مفسر بما وقع قبله أو بعده وتنكيره للتقليل أي لا يدفع عنهم ولو قليلا من جهنم أي عذابها .

(ولا ما اتخذوا) عطف على (ما كسبوا) وأعيد حرف النفي للتأكيد و (أولياء) مفعول

ثان ل (اتخذوا) . وحذف مفعوله الأول وهو ضميرهم لوقوعه في حيز الصلة فإن حذف مثله في الصلة كثير .

وأردف (عذاب مهين) بعطف (ولهم عذاب عظيم) لإفادة أن لهم عذابا غير ذلك وهو عذاب الدنيا بالقتل والأسر فالعذاب الذي في قوله (ولهم عذاب عظيم) غير العذاب الذي في قوله (أولئك لهم عذاب مهين) .

(هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم [11]) جملة (هذا هدى) استئناف ابتدائي انتقل به من وصف القرآن في ذاته بأنه منزل من ا وأنه من آيات ا إلى وصفه بأفضل صفاته بأنه هدى فالإشارة بقوله (هذا) إلى القرآن الذي هو في حال النزول والتلاوة فهو كالشيء المشاهد ولأنه قد سبق من أوصافه من قوله (تنزيل الكتاب من ا العزيز الحكيم) وقوله (تلك آيات ا) إلى آخره ما صيره متميزا شخصا بحسن الإشارة إليه .

ووصف القرآن بأنه (هدى) من الوصف بالمصدر للمبالغة أي : هاد للناس فمن آمن فقد اهتدى ومن كفر به فله عذاب لأنه حرم نفسه من الهدى فكان في الضلال وارتبق في المفاسد والآثام .

فجملة (والذين كفروا) عطف على جملة (هذا هدى) والمناسبة أن القرآن من جملة آيات ا وأنه مذكر بها فالذين كفروا بآيات ا كفروا بالقرآن في عموم الآيات وهذا واقع موقع التذييل لما تقدمه ابتداء من قوله (ويل لكل أفاك أثيم) .

وجيء بالموصول وصلته لما تشعر به الصلة من أنهم حقيقون بالعقاب .

واستحضروا في هذا المقام بعنوان الكفر دون عنواني الإصرار والاستكبار اللذين استحضروا بهما في قوله (ثم يصر مستكبرا) لأن الغرض هنا النعي عليهم إهمالهم الانتفاع بالقرآن وهو النعمة العظمى التي جاءتهم من ا فقابلوها بالكفران عوضا عن الشكر كما جاء في قوله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) .

والرجز : أشد العذاب قال تعالى (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون)